

ألم الفراق

الجزء الاول



المقدمة

لن يفهم هذا الكتاب إلا أولئك الذين قد
تجرعوا ذات يوم مرارة الفراق
ذات يوم أغلق أخي عيناه ورحل وانتهى
كل شيء
الفراق نار ليس لها حدود لا يشعر به
الا من احترق بناره
انا اتناول ذكرياتي كالحبز المسموم على
موائد الفراق

حاولت أن أنسى... لكن كلما تذكرت أشعر
بصداع شديد... ورغبة في البكاء... لا
نشعر بقيمة الشيء الا بعد فقدانه

الاهداء

الى ذلك الذي ينتهي اسمه بحرف الياء
الى ذلك الذي كان لي حياة
الى الذي الممتني الحياة بفراقه ولم يكن
لي خيار سوى الرضى
الى صندوق اسراري واماني
اخذت جزء كبير من روحي
" اخي علي رحمه الله "

الفصل الاول

السادس عشر من شهر يوليو
لعام 2022

صوت جرات الاوكسجين يجعلني اتوتر
على سرير بجانب النافذة
هناك حيث الحياة

دخلت الغرفة

- مرحبا حبيبي كيف حالك هل أصبحت
أفضل

علي: الحمد لله حبيبتني، ولكنني اشعر بالألم
قوي في قدمي لأنني منذ فترة طويلة لم
امش

- هل هنا يكون الألم ليته في قلبي وليس
بك

الان سأقوم بعمل تمارين خفيفة لعلّ الألم
يذهب

علي: اسراء..
- قلبها و عيونها هل تتالم بسبب التمارين
لأتوقف؟؟
علي: كلا-
اذا ماذا بك؟!!

عيون محمرة وصدر يتنفس وكأنه كان
في سبق جري يصعد للأعلى بقوة وينزل
عند الزفير

وعيون جميلة ناعسة ذابلة من كثرة
المرض رد وقال..

علي: انا تعبت كثيرا، انا سأموت..
ذهلت تماما، تجمد الدم بعروقي شعرت
بغصة في حلقي كأن لقمة علقت هناك
عيون تغرغر فيها الدمع وقلب ينزف

بتسارع وكأن النبض في سباق

- ماذا تقول؟!!

سلامتك من التعب، ليته لي وليس لك

لا تذكر كلمة الموت مجددا وإلا

خاصمتك

لأول مرة أرى عيونه تدمع

نزلت دمعة تعلن الاستسلام وتبوح بالألم

المخبئ

وتتعرى من ثوب القوة الذي لطالما لبسه

لم يسبق لي وان رأيت اخي يبكي امامي؛

فهو مدرك انني استمد قوتي منه وازداد

قوة عندما اراه قوي واشد ظهري به

دون أي كلمة صمت لثواني

ولكنني شعرت بأنني صمت لسنة

نظرت لعينيهِ وانا ابكي متسائلة عن سبب
كلمة الموت
دائما كان متفائل ويقول انه سيشفى وكانت
له أحلام كثيرة وكنا نخطط لحفل زفافه

علي: اسراء انا اريدك ان تكوني قوية
وكلمة موت هي حق وكلنا
سنموت

ربما اليوم ربما لاحقا لا أحد يعلم اجله
وانا أرى الموت بعيني
بكيت بصوت عالٍ لم أستطيع ان اسيطر

على دموعي
ضمني بكل قوة وقال لا تبكي
وتتهد تنهيدة في غاية

رفعت راسي بعد وقت من البكاء مسحت
دموعه وقلت لن تذهب وانا اعدك
وانت عاهدتني ان تبقى معي
وليس لك خيار ستفي بوعدك
لن اسمح لك بان تفعل كالبقية..
سأتمسك بك بكل قوة ولن ادعك ابدا
وقفت وذهبت الى غرفتي بكيت مطولا ثم
مسحت دموعي
وضعت القليل من المسكرة والمساحيق
لأخفي ما بي وخرجت وابتسمت لعل
ابتسامتي تخدعهم وتخفي وجع السني
بداخلي

لأول مرة اشعر انني بحاجة لكمية كبيرة
من المواساة

ولان الانسان يهرع لمن يحب أولا
فلقد استسلمت لحبيتي وذهبت لأكلماها
هي الوحيدة من بعد اخي تستطيع ان
تجعلني اطمأن
ولكنني كنت خائفة ان احزنها بحزني
لذلك لم اتصل

اتقلب يمينا وشمالا
لا استطيع النوم
الكلمات عالقة في راسي كالكساكين
أحاول ان اطمئن نفسي ولكنني لا استطيع
كنت اعلم انها ستزيل كل هذا بكلمة واحدة
كلماتها كالبلسم
اخذت نفس عميق

واتصلت

امي: مساء الخير كيف حالك

- الحمد لله اشتقت لك كثيرا

امي: وانا أيضا، كيف اصبحت علي؟

- ابتلعت الغصة وكأنني كنت بالون ممثلي

وكان هذا السؤال ابرة لفقع هذا البالون

بكيت ولم أستطيع الكلام

امي: اسراء ما بك، لماذا تبكي؟!

- علي ليس بخير يا امي يريد ان يتركني

وانا خائفة من فقدانه

كلام طويل وفي منتصف الكلام صوت

سيارة اسعاف

نهضت بسرعة انظر وإذا بأخي مرهق
جدا

- ماذا، ماذا الى اين ولما سيارة الإسعاف
مجددا

وصوت امي على الهاتف ماذا حدث
اسراء؟

طلبت الاذن بان اقفل
وذهبت الى اخي لأعلم ماذا جرى
لكن لا أحد يشرح لي شيء

لم أستطيع ان انام قلقة جدا على اخي

والكل يقول انه لا شيء مخيف
ولكنني خائفة سمعتهم يتهامون بان
حالته سيئة جدا
وان ساعاته الأخيرة اقتربت
لم اعلم ماذا عليّ ان افعل انتظرت حلول
الصباح
اتصلت على اخي في المشفى لأتحدث مع
علي
ولكنه لم يسمح لي قال لي انه في
غيبوبة

لقد وضعوا له جهاز آخر يضخ الاكسجين
في راتيه؛ لأنه لم يعد قادر على اخذ
الاكسجين من الجهاز العادي
كم كانت ايام في غاية القسوة

نمت وانا احتضن صورة اخي
واقول له ارجوك استيقظ من
غيوبتك

استيقظت من النوم وانا بالكاد أستطيع
الوقوف على قدمي
كانت ليلة مليئة بالبكاء
صليت ودعيت لأخي

الحيرة تقتلي بصمت تام
أفكر ماذا سأفعل

نهضت وقمت بالاتصال بأخي وقلت له
ان يوجه الهاتف على علي، حتى لو كان
في غيبوبة

عندما رايتہ كيف كانت حالته سُعت
وكان أحدهم صفعني
كان شكله مؤلم مع هذا الجهاز
برابيش تمتد من انفه وفمه والجهاز
يضغط بقوة ويمسك راسه وكأنه...
شيء يصعب وصفه...

ولكنني تنفست بقوة وتكلمت وكأنه
يسمعني
كان كلامي قاسي ولربما سيء لا اعلم
تنهدت
وقلت...

- قلت لك لن اسمح لك بان تتركني
انت عاهدتني

دموعي تنزل دون ان تستأذني
صرخت به وقلت
انهض هيا انا لا استطيع بدونك
وان كنت ستذهب فانا سأذهب معك
ان تركتني سوف اقتل نفسي
سأجعل قبري يُحفر قبل قبرك اسمعت؟!
نزلت معجزة ربي عليه وكان الله اشفق
عليّ من كثرة بكائي ودعائي سبحانه لا
خاب من دعاه

واذا بعينه تفتح وكأن معجزة من السماء
نزلت لتجعله يستيقظ
لم يستطيع التكلم حرك عينيه بشكل
غاضب مني

واشار برأسه وكأنه يقول لي اياك ان
تفعلي ذلك

وليس لي سوى البكاء

اغلق اخي الهاتف وذهب للطبيب ليقول له
ما جرى

وتركني ابكي وليس بيدي
حيلة

ذهبت لامي كعادتي
واستفسرت وقلت لها انهم وضعوا له
جهاز

وقد كنت مسجلة المكالمات وبعثت لها
الفديو عندما فتح عيونه بعد كلامي
وهي فرحت لاستيقاظه من الغيوبة
ولكنها

غضبت وقالت لا يجب ان اقول له انني
سأقتل نفسي وان ذلك
لا يجوز
فهذا قضاء الله وقدره
وقالت كل كلمات المواساة لتجعلني اهدأ
مرّ اليوم بسلام
واصبح اخي افضل بعد استيقاظه ولكن
لقد ساءت حالته في المساء وهذا الكابوس
لا ينتهي

هلوسات اخر الليل

ما حال الغياب ؟

منذ آخر عناق وأنا طريحة الفراق
ولم يعد من حينها للنوم مذاق...
وما حال الحنين والشوق الدفين؟

أمّا الشوق
لا يزال يزاوّل وظيفته القديمة بالرقص
الصاخب على ذاكرتي
وأمّا الحنين
ما يزال ييزغ كلّ مساء من بين ثنايا
الحنايا..

وما حال القلب ؟
كعاداته القديمة
فدائماً بعد منتصف اللفة بنبضتين
يضبط توقيته على خط طول الغياب...

ما حال الذاكرة ؟
توقفت عقاربها عن النسيان وأشارت إلى
ملاحمهم إلا شوق ..

ماحال الالهة ؟
فقدت حيائها وأصبحت تخلع ثوب وقارها
ثم تضاجع وحدثها

وما حال الأرق ؟
لم يعد أليفا كسابق عهده، فقد أصبح يبرد
مخالبه ويخزها في
في أوردة الذاكرة

وماحال الحزن؟

أصبح باخعا" هو الآخر حيث يزهد جميع
الابتسامات الملكومة ويصلبها على قارعة
الشفاه الواجمة محتسباً نخب
الدموع...

ماحال العيون؟
عيونٌ أعيها الفراق وأصبحت عمشاء..
فكم لقاء تحتاج لثرى ياترى..؟

وماحالك أنت؟
لم يبقَ في ذاكرتي موضع لندبة شوق أو
وخزة حنين، حتّى إنّي كدت لا أعرفني
مني
وكّلما طال بعدك عني وليّت مني..

وماحاله هو ؟
قد رحل عني ولا زال قريب مني و بقت
أطيافه الحادة حاضرة لاتغيب
لاتغيب....

هل لديك رسالة أخيرة تقولها؟

ليست رسالة فالرسائل عادة لاتصل
وإنما دعوة مشتاقة أعيانها ضيم الفراق
أما بعد وبعد :

ليتك تشفى فقلبي هو المريض
عُدّ لي لعل السعادة تعود
عُدّ لي ارجوك

الفصل الثاني

الثلاثاء التاسع عشر من يوليو

هاي هي الدقائق الثقيلة تتقدم لتعلن عن

يوم جديد انتهى يوم الاثنين

الساعة الثانية عشر منتصف الليل

قلب مرهق وحاله ليس على ما يرام

نخزة غريبة تسكن صدري تجعلني اقلق

فجأة انا لست بخير

لا اعلم ما بي ولكنني اشعر انني اختنق

وانفاسي تكاد تنقطع والنخزة تشتد واشعر

ان ساعة موتي اقتربت

ابكي من شدة الألم

توضأة واحضرت سجادتي وذهبت ابكي

الى رب العالمين

انا أقلق عندما اشعر بنخزة في صدري ؛
فهي تدل على شيء سيء
فكلما اصابتنى حدث بعدها شيء سيء او
يكون احد أحبائي متعب دون علمي
بكيث كثير وصليت طوال الليل ولم
استطيع النوم بقيت على سجادتي ابكي
و اتوسل الى الله بان يكون علي بخير
وقرات سورة البقرة كعادتي وطلبت من
الله ان يشفي اخي وان يعود اليّ
هاهي شمس الصباح تشرق وعيناى
المكلتان بالسواد لم تغلقان بعد
مازلت احمل مصحفي وابكي
لا اعلم لماذا بكيث هكذا ولكنني اشعر بألم
مخيف وارهاق شديد وقلق كبير على اخي

اختي على اللابتوب تنجز مشاريعها تنظر
لي وتقول مابك لما هكذا حالتك
أحاول ان اشرح ما بي ولكنني اعجز
ذهبت لصنع القليل من الفطور
بطني يؤلمني كثيرا لربما من كثرة الجوع
وضعت الطعام وكاس الشاي ولكنني لم
استطيع تناوله اشعر انني بحاجة للنوم
فقط

عادتي عندما اتألم اهرب للنوم
فوحده يجعلني خالية من أي مشاعر سواء
حزن او سعادة

أعطيت الطعام لاختي وذهبت لنام
ولكنني بقيت ابكي واحتضن صورة اخي
اطلبه من الله
ولأول مرة ألحُّ هكذا بالطلب

الساعة الثالثة بعد الظهر لقد نمت كثيرا
ولكنني مازلت متعبة ومرهقة جدا
اشعر ان جسدي تعرض لضرب شديد
كل خلية في جسدي تؤلمني ربما من كثرة
النوم

يدخل ابي عائد من العمل
دون ان أقول له الكلمات المعتادة او ان

ارحب به
قُلْتُ

- ابي اريد الذهاب لعلي الان فانا بالكاد
استطيع ان اتنفس اشعر انه ليس بخير
اريد ان اراه رجاءاً
ابي: لا اجلس وادرس يا ابنتي ولا تقلق
اخاك برعاية الله فهو ارحم منا به
- ولكنني اريد ان اراه انهيت دروسي
ابي: قلت لا اذهب للدراسة لم يتبقى على
اختبارائك سوى القليل دخلت الغرفة وانا
ابكي

امسكت بكتابي ومزقته
وقلت لا اريد ان ادرس اريد ان أكون مع
اخي
ولا اريد أي شيء اخر

كنت في حالة كبيرة من الغضب وعدت
للنوم مجددا
بقيت ابكي الى ان نمت

استيقظت على صوت اخي يقول لامي
ان ترتدي ملابسها
- ماذا يحصل الى اين يا امي
بصوت يكاد ان لا يخرج
امي: الى المستشفى اخاك متعب ويريد ان
يراني
- ماذا؟!، خذوني معكم ارجوك يا امي
اريد ان أرى علي
امي: ومن سيبقى مع اخوتك ابقى هنا

ابكي كثيرا واصرخ اريد ان
اذهب
ولأول مرة يذهب جميع اخوتي الى

المستشفى
لم يبقى سيارة الا وان استأجروها ذهب
الجميع سواي

الساعة السادسة عادت امي واخي وحدهم
امي تبكي وتتكلم مع اختي على الهاتف
تتكلم عن اخي بشكل
مؤلم
تردد كلمات الوداع وتبكي بحرقة

انا لا اصدق أقول لها ما بك وهي لا
تجيب

عقارب الساعة تتقدم بشكل ممل اشعر ان
الكون يمشي كما سلحفاة
نشرت لآخي دعوة بالشفاء والكل يدعي
له

أغلقت الجهاز واذا بأبي يدخل البيت
وعيوننه محمرة
اعتدت على ذلك الجبل القوي وحتى في
اصعب الأوقات بقي جبل لا يهزه ريح

جلست على المقعد وقلت ابي كيف اخي
!؟

انفاس ثقيلة تخرج من رئتيه تنهد
وقال

ابي: توقف قلبه ادعوا له

- ماذا؟!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

ماذا تقول هل تمزحون معي
ماذا يعني توقف قلبه وندعوا له
لم افهم

ماذا حدث لاهي ارجوك قل لي
ابي: نحن مؤمنين بالله واخيك في ذمة الله
الان روحه صعدت الى رب البرية

ويحتاج للدعاء ولا اريد الصراخ والبكاء
فل يعي الجميع
وذهب

حُمى الفراق

ل طالما كنت أخاف أن أقع في فخ الفراق
ولحظات الوداع؛ لأنها تضع أثرا فضيعاً
من القهر والحزن العميق في نفسي
إن البعد بعد التعود والألفة يجعلك فارغاً
تماماً

أن تودع أخَّ لك إن تودع احد احب
الأشخاص لك

ان تودع احد أقرب الناس لقلبك
تودع ذلك الشخص الذي تستطيع البوح
بكل أسرارك له

ذلك الذي يحتمل كل حالاتي النفسية
المتقلبة

إنه قطعة نادرة جعله الله في حياتي
كمواساة عن كل حزن
الدنيا اعطتني إياه كأعتذار عن كل
الأشخاص السيئين
وداعا يا حبيبي

لم أجد وصفًا دقيقًا يشرحُ حالة الإنسان
حينما يخسرُ شخصًا يحبه

حتّى سمعت طبيبًا يقول في إحدى
محاضراته:

"أن المرء عندما يُبتر جزءٌ من جسده،
يستمر بالإحساس به لمدة طويلة وكأنه
لم يفقده في الأساس

لكن حينما يحاول لمسّه، يدرك أنه لم
يعد موجودًا

فينتابه شعورٌ بالألم والأسى، يضاهي ألم
خسارته لذلك الجزء "
هكذا يكون وعي الإنسان في كلِّ مرةٍ يذكر
بها فقدانه لأحد أحبائه.

الفصل الثالث

ليلة الثلاثاء اليوم الأسود

ذهب ابي وتركني، ولكنني لم اياس ولم
ابك

ما يُخيفني ان ردة فعلي لم تكن قوية

مازلت اقف بكل صمود دون أي شعور
باستثناء الصدمة وعدم التصديق
توضأة وسجدت

أقول

يارب انت وعدتني وانت الذي وعدك
حق

وعدتني إن دعوتك ان تستجيب لي
وانا دعوتك كما امرتني فاستجب لي كما
دعوتني

اعدّ لي اخي ارجوك يا الله اتوسل اليك
انا اعلم انه لن يموت

وانت تستطيع ان تحييه من جديد ان مات
سمعت صوت امي تبكي وصوت صراخ

اخي

هنا لم اعلم ماذا جرى
وانا ساجدة صرخت وكأن الامل انتهى
من عودة اخي
صرخت وانا ساجدة
وقلت

يا الله انت وعدتني كنت اصرخ من
اعماقي
نهضت وكسرت كل ما حولي وكسرت
المرآة بيدي وانا اردد
لا ، لا

احتضنت الرسمة التي رسمتها له
وضعتها
وضعت راسي وقلت ذهبت قبل ان تراها
عدّ ارجوك لا تترككني

بعد ساعات من البكاء
فتحت هاتفي وبعثت تسجيل صوتي الى
حبيبتى هي الوحيدة التي تستطيع ان
تجعلني اهدأ
خشيت ان ارتكب خطأ اندم عليه طوال

عمري
الشيطان يلعب في دماغي يقول لي ان
اقتل نفسي كما قلت لآخي وهو في
الإنعاش

قلت لامي في التسجيل ان اخي قد مات
وكان صوتي يرتجف وربما مهما وصفت
لن استطيع ان ارسـم الصورة التي كنت
عليها حينها

اتصلت بي وحاولت تهدئتي
ولكن كانت هناك كلمة واحدة ارددها
ارجوك أعيديه لي لا تسمحي له بان
يتركني ارجوك يا امي

كل كلمات المواساة لا تستطيع ان تخفف
عني هذا الألم
وجميع الرسائل التي كانت تصلني على

هيئة أحضان
لم تستطيع ان تواسيني
همي كبير ليس له مواساة كمرض أخي
ليس له دواء نهايته
الموت

مشاعر لا تكتب

أصعب ليلة ينامها الإنسان
هي أول ليلة بعد فقدته لشخص يحبه
حينما يغمض عينيه بعد بكاء طويل

ويطلق تنهيدة طويلة تنتهي بنومه دون
أن يشعر ثم يستيقظ وهو لا يعلم كيف
نام ويظن أن كل شيء كان حلماً مخيفاً
ثم يكتشف أنه لم يكن كذلك
وأن الحلم في الواقع كان حقيقة

لن انسي أبداً تلك الليلة
عندما نمت على أمل شفائك
واستيقظت على فاجعة وفاتك

كنت أخاف إذا طالت غيبتك كثيراً
كنت أعلم أنني سأفقدك
كنت أعدك أن حياتك ستكون أفضل
وانك سترتاح

وكنـت اعلم ان الله سيعوضك بعد
الوجع والألم والتعب الذي عشته
كنـت ادعي ولكن أنا من امام رحمة رب
العالمين؟
عوضك في الجنة يا حبيبي

سأستمر لهدفين ..
الأول أن أتكلم عنك وعن قصتك للعالم
وان اجعل الناس يدعون لك..
والثاني أن امضي الأيام وأرضي الله
ليدخلني الجنة وأجتمع فيك الله رحمك

الله يا وجع قلبي
المستديم

الفصل الرابع

ليلة الثلاثاء لم تنتهي بعد

أغلقت الهاتف وأنا اردد اعيديه لي
تنهدت

وحاولت ان انام لاخلفف عن ألم الفراق

كدت ان أصاب بالعمى من كثرة البكاء

والعتمة التي تحيط بي

مازلت في صدمة كبيرة

ابكي وأنا لا اصدق انه ذهبت وانتهى الامر

بعد بكاء طويل احتضنت دبدوبي الصغير

الذي لطالما كنت أقول لعلي انه هو
وعندما كان يذهب لجلسات الكيماوي
كنت اقضي وقتي اتحدث مع دبدوبي علي
احتضنته وانا احتضن الرسمة التي
رسمتها لأخي واحتضن ملابسه

واخرج انفاس متقطعة
ثقيلة ك انفاس طفل بعد البكاء يشهق

نمت أخيرا

الساعة الثالثة ليلا بعد منتصف الوحدة

استيقظت اصرخ وأقول لم يمت

هو على قيد الحياة

وايقظت الكل على صراخي

رايته في منامي

كان يحتضني ويقول انه لم يمت ويمسح

دموعي ويقول انه سيبقى معي

حاولت ان أبقى معه، ولكنه اختفى بقيت

اصرخ في وسط عتمة موحشة الى ان

استيقظت وانا ارتعش واصرخ

اهِ لو تعود ولو للحظة لضممتك عمرا
كاملا

اهِ لو أستطيع ان امسك بيدك الحنونة
ولو لمرة واحدة فقط
اهِ وماذا تفعل الآه سوى ان تقتلني
بحسرتي

في هذا الوقت انا احتاجك
احتاج ان تضميني كعادتك عندما أخاف
احتاج لحضنك انت فقط لا أحد غيرك
لا أحد يستطيع ان يحل مكانك مطلقاً

في ظلام الليل الموحش وبعد خبر وفاتك

أعلنت الدنيا الحداد وقررت ان تطفئ كل
الأضواء

فيا قمري لم يعد بعدك نور لدنياي
كل الأماكن بهت لونها
لا يوجد صباح لا يوجد شمس لا يوجد
سوى الظلام
كل ما هو حولي اسود وليس هناك
ألوان

الكل عاد للنوم وبقيت انا ودموعي ورماد
قلبي بعد ان اخمدت نار الفراق
بعد ان اسكتُ عقلي عن التفكير

ولكن فجأة وكأن ذكرياتنا ليس لها قلب
ينبض الا الليلة
يتحول سقف الغرفة الى شاشة يعرض
عليها ذكرياتنا
انظر لذكرياتنا وابكي بحرقة طفل

اشعر

وكأنني طفلة تنتظر اباها بكل شغف
والكل يقول لها انه مات وهي لازالت
تجلس في الطرقات تقاوم البرد القارس
من اجل رؤيته ولكنه لا يأتي
ايقل ان اضم الصور واتحدث لها

عنك ؟!

أيعقل ان اشتكي لصورة؟!

أيعقل ان اضع راسي على صورتك لأحظى

بعض دافئ منك؟!

اين انت يا اخي

